أَدَبِيَّات الصَّدَاقَةِ


بسم الله الرحمن الرحيم

من الوحي الإلهي

[صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ] {التوبة:٤٠}

من عبير السنة النبوية

«الْمرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ نَّفْسٍ (آل عمران: ١٠٢).

وَٰحِدَةٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا نَّفْسٍ (النساء: ١).

وَٰحِدَةٍ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ نَّفْسٍ (الأحزاب: ٧٠ -٧١).

أما بعدُ: فإن دين الإسلام بكماله وشُموليته لم يدع جانبًا من الجوانب الإنسانية أو علاقةً من العلاقات الاجتماعية إلا وأَحْكَمَها، وبَيَّن أصولها، وضبط قواعدها، ونَفَى زيفها؛ وذلك لأن الشريعة الإسلامية لا تأمر إلا بما مصلحته خالصةٌ أو راجحةٌ، ولا تنهى إلا عما مفسدته خالصةٌ أو راجحةٌ، ومِن كمال دين الإسلام في أخلاقه وآدابه أن أحكم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بالإنسان، بل حتى علاقة الإنسان بالحيوان.

وقد قَدَّر اللهُ بحِكمته ميل الإنسان -بطبعه- إلى مخالطة الآخرين ومجالستهم ومؤانستهم، فإن الإنسان من الأُنس والألفة؛ ومن هذا المنطلق فإننا نتناول علاقةً من أعظم العلاقات الإنسانية، ألا وهي علاقة (الصداقة)؛ في تذويب النفوس والأرواح النفسية بعضها في بعض في مشاعر واحدةٍ، وفي عاطفةٍ مكتسبةٍ؛ تُميل الأهواء والأفكار بعضها لبعض؛ وفي هذا كله؛ نحاول في هذا البحث أن نُطوّف في بُستان «أدبيات الصداقة»، جمعنا فيه ما هو مُفَرَّقٌ في كتب العلماء المتقدمين، ومُسطرٌ في صحف الأئمة السالفين، فجزاهم عنا أفضل الجزاء، وإنما كل الذي لنا في اختصار مبسوط، أو جمع متفرق.

والله أسأل حُسْنَ القَبُول.

وَعَنْكَ إِشَارَتِي، وَإِلَيْكَ قَصْدِي وَمِنْكَ مَسَرَّتِي، وَلَكَ انْقِيَادِي

وَأَنْتَ ذَخِيرَتِي، وَبِكَ اعْتِمَادِي وَفِيْكَ تَأَلُّهِي، وَبِكَ انْتِصَارِي

بين يدي الأدبيات

أولًا: معنى الأدب:

الأخذُ بمكارم الأخلاق[١]، مما أجمع الجميع على استحسانه[٢]؛ مما يتأدب به الأديب من الناس؛ وسُمِّي أدبًا لأنه يَأْدُب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[٣].

(١) فتح الباري، ابن حجر (١٠/ ٤٠٠).
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٧٥).
(٣) لسان العرب، ابن منظور (١/ ٢٠٦).

ثانيًا: منزلة الأدب:

لقد مدح الله نبينا ﷺ في مواطن كثيرةٍ من القرآن بجميل أدبه، وحسن أخلاقه، وكثير شمائله، من ذلك:

قوله تعالى: [وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ] {آل عمران:١٥٩}.

وقوله تعالى: [وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ] {القلم:٤} قال عطيَّة العوفي: أي: إنك لعلى أدبٍ عظيمٍ. (١)

وعن هشام بن عامر $ سأل عائشة ڤ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: **فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ**.(٢)

وعن أبي سعيد الخدري ڤ قال: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ**. (٣)

قال ابن القيم $: (أدب المرء عنوان سعادته وفلاحِه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبوارِه، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب. (٤)

والآداب والأدبيات مجموعةٌ من القواعد والمبادئ التي يخضع لها الإنسان في تصرفاته ويحتكم إليها، وهي بدورها مستمدة من تصور تربوي يرتكز إما على العقل أو الدين أو كليهما معًا.

وللأدب مكانة عظيمة في الإسلام، بل إن الرسول ﷺ صرح أن الرسالة جاءت لإكمال الأخلاق فقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١١٨).
(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).
(٤) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٣٦٨).

الْأَخْلَاقِ»[١].

بل إن ذوي الأخلاق لهم منزلةٌ خاصةٌ في الجنة، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**»[٢].

واكتمال الإيمان بالأخلاق يوضحه قوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا**»[٣]، والمسلم لا شك أنه يحب القرب من رسوله ﷺ ويرغب في كمال إيمانه.

محبة الرسول ﷺ التي يحرص عليها المؤمنون تكون بحسن الخلق، كما في قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا**»[٤].

وعن أبي أمامة الباهلي ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**». [٥]

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٨٩٤٩)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٨٩٥٢)، من حديث أبي هريرة، بلفظ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي: (٢٠١٨) من حديث جابر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

(٣)أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في « الصحيحة» (٢٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) أخرجه أبو داود: (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٦٤).

ثالثًا: اعتناء السلف بتعلم الأدب.

قال الإمام المبارك عبدالله بن المبارك $: قال لي مخلد بن الحسين: نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوجُ منا إلى كثيرٍ من الحديث.(١)

وقال ابن المبارك : مَن تهاوَن بالأدب عُوقب بحرمان السُّنن، ومَن تهاون بالسُّنن عوقب بحرمان الفرائض، ومَن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.(٢)

قال الإمام مالك بن أنسٍ إمام دار الهجرة $ لفتًى من قريشٍ أقبل على كتابة الحديث وطلبه: يا ابن أخي، تعلَّمِ الأدب قبل أن تتعلَّمَ العلم.(٣)

وقال عبد الله بن وهب المصري $: ما نقَلْنا مِن أدب مالكٍ أكثرُ مما تعلمنا مِن علمه.(٤)

قال إسماعيل بن عُلَيَّة $: كان يجتمعُ في مجلس أحمد بن حنبل $ نحوُ خمسة آلافٍ -أو يزيدون، نحو خمسمائةٍ- يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسن الأدب، والسَّمْت.(٥)

وهكذا كان السلف قائمين بالعلم والأدب معًا، يجمعون بين خيري الدنيا والآخرة، يَحذرون ويُحذرون مغبة مخالفة الأدب والعلم.

قال أبو الأسود الدؤلي:

يـــا أيهـــا الرجـــلُ المعلـــمُ غيـــرَهُ
هـــلا لنفسِـــكَ كـــان ذا التعلـــيمُ؟
تصـــفُ الـــدواء لـــذي الســـقامِ وذي الضـــنى
كيمـــا يصـــحَّ بـــه وأنـــتَ ســـقيمُ

---

(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٠).
(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٠).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (6/ ٣٣٠).
(٤) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١٣).
(٥) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).

ونـــــراكَ تصـــــلحُ بالرشـــــادِ عقولَنـــــا
أبـــــداً وأنـــــتَ مـــــن الرشـــــادِ عـــــديمُ
لا تَنْـــــهَ عـــــن خُلُـــــقٍ وتـــــأتي مثلـــــهُ
عـــــارٌ عليـــــكَ إذا فعْلـــــتَ عظـــــيمُ
وابـــــدأ بنفسِـــــكَ فانَهـــــا عـــــن غَيِّهـــــا
فـــــإذا انتهـــــتْ منـــــه فأنـــــتَ حكـــــيمُ
فهنـــــاكَ يقبـــــلُ مـــــا وعظْـــــتَ ويقتـــــدى
بـــــالقول منـــــكَ وينفـــــعُ التعلـــــيمُ

رابعًا: صورٌ مِن أدب العلماء.

قال الحسَن البَصري $: رُئِي ابن عباسٍ ڤ يأخذ بركاب أُبيّ بن كعبٍ ڤ، فقيل له: أنت ابن عم رسول الله! تأخذ بركاب رجلٍ من الأنصار؟! فقال: إنه ينبغي للحَبْرِ أن يُعَظَّم ويُشرَّف. (١)

قال عامرٌ الشَّعبي $: أمسَك ابن عباسٍ ڤ بركاب زيد بن ثابتٍ $، فقال: أتُمسِك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟! قال: إنَّا هكذا نصنَع بالعلماء. (٢)

وذكر سفيان الثوري $، عن أبيه، أنه سَمِع أبا وائلٍ شقيق بن سلمة سُئل: أنت أكبرُ أو الربيع بن خثيمٍ؟ قال: أنا أكبر منه سنًّا، وهو أكبر مني عقلًا. (٣)

وكان يحيى بن سعيدٍ الأنصاري $ يُجالس ربيعة بن أبي عبدالرحمن التيمي المعروف بربيعة الرأي عالم المدينة، فإذا غاب ربيعة حدَّثهم يحيى أحسنَ الحديث -وكان كثير الحديث-، فإذا حضر ربيعة كَفَّ يحيى؛ إجلالًا لربيعة، وليس ربيعةُ أسنَّ منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحدٍ منهما مبجِّلًا لصاحبه. (٤)

وتناقش الإمام مسلم بن الحجاج $ صاحب الصحيح، مع شيخه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري $ صاحب الصحيح في مسألة، فأجابه البخاري بما فيه الشفاء، فقال له مسلمٌ: دَعْني أُقبِّل رِجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدِّثين، وطبيب الحديث في علله. (٥)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع» (١/ ١٠٨).
(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع» (١/ ١٠٨).
(٣) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٦٣).
(٤) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٩٢).
(٥) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٣٢).

بين يدي الصداقة

أولًا: في أهمية الصديق.

* قال تعالى -في التنصيص على دخول الصديق في جملة وُدِّ الإنسان-: [حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا] {النور:٦١}.

* ومن شرف ذلك: أن لفظ (الصديق) يكون واحدًا وجمعًا ومذكرًا ومؤنثًا. أما ترى هذا المثال كيف عم هذه الأشياء المختلفة حتى تكون صورة الصديق محفوظة فيها، وملحوظة منها ولذلك قال الله تعالى: [هَنِيئًا مَرِيئًا] فأخرجه مخرج الواحد، وهو يريد الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. (١)

* وقال تعالى -في شرف صحبة الصديق للنبي ﷺ-: [صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا] {التوبة:٤٠}.

* وقد مدح النبي ﷺ أهل التحاب والإخاء في الله:

---

(١) انظر: الصداقة والصديق ص / ٢٥٥.

فعن أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[(١)].

وقال ﷺ: «**المَتَحَابُّونَ فِي جَلَالِ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقِ بالشَّامِ، فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للَّهِ، فَقَالَ: أَللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهِ. فَقَالَ: أَللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهِ. فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»[(٣)].

وفي رواية: عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. قَالَ: فَمَدَّنِي إِلَيْهِ. قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». [(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٢١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٠٣٠) من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١).
(٤) أخرجه أحمد (٢٢٠٦٤).

* والصديق لا يُراد ليؤخذ منه شيء، أو ليعطي شيئًا، ولكن ليُسكن إليه، ويُعتمد عليه، ويُستأنس به، ويُستفاد منه، ويُستشار في المُلِمِّ، وينهض في المهم، ويتزين به إذا حضر، ويتشوق إليه إذا سفر [١].

ومثلها بعضهم بقوله: الصداقة كالمظلة؛ كلما اشتد المطر كلما ازدادت الحاجة لها.

*** الصديق الحق هو سرور الدنيا، وأنس نعيمها.**

قال معمر بن راشد: ما بقي من لذات الدنيا إلا محادثة الإخوان. [٢]

قال عبد الملك بن صالح: مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان، وألذ من نيل الأمان، وأحلى من رضا السلطان.

- قال الشاعر:

وَمَـــا بَقِيَـــتْ مِـــنَ اللَّـــذَّاتِ إلا
مُحادثَـــــة الرجـــــال ذوي العُقـــــول
وقـــد كـــانوا إذا عُـــدُّوا قلـــيلًا
فقـــد صـــاروا أَقَـــلَّ مـــن القليـــل

وقال أعرابي: الصاحب كالرقعة في الثوب فلينظر الرجل بما يرقعه. [٣]

أنـــتم ســـروري وأنـــتم مشـــتكي حزنـــي
وأنـــتم فـــي ســـواد الليـــل ســـماري
أنـــتم وإن بعـــدت عنـــا منـــازلكم
نـــوازل بـــين أســـراري وتـــذكاري

وقيل لعبد الله بن أبي بكرة: أي شيء أمتع؟ قال: ممازحة محب، ومحادثة صديق، وأماني تقطع بها أيامك. [٤]

*** والإنسان لا بُدَّ له مِن صديقٍ؛ فهذه سنة الأنبياء والمرسلين.**

---

(١) انظر: الصداقة والصديق ص/ 68.
(٢) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٩٥.
(٣) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٣٥٢.
(٤) انظر: الصداقة والصديق ص/ ١١٤.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ**».(١)

و(الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده، ولا يستوي له أن يأوي إلى المقابر، ولابد له من أسباب بها يحيى، وبأعمالها يعيش، فبالضرورة ما يلزمه أن يعاشر الناس، ثم بالضرورة ما يصير له بهذه المعايشة، بعضهم صديقًا، وبعضهم عدوًا، وبعضهم منافقًا، وبعضهم نافعًا، وبعضهم ضارًا، ثم بالضرورة يجب عليه أن يقابل كل واحد منهم بما يكون له مرد من دين، أو عقل، أو فتوة، أو نجدة، ويستفيد هو من ذلك كله ما يكون خاصًا به، وعائدًا بحسن العقبي عليه، إما في العاجل، وإما في الآجل، ولعزة الحال في وجدان الصديق، وتعذر السلامة على القريب والبعيد) (٢).

-وقال توماس كلايتون: أتعس الناس مَن كان بغير صديقٍ، وأتعس منه مَن كان له صديق وخسره.

*** والصديق عَوْنُ صديقه، ومؤنسه، وسنده:**

فإن الإنسان لا يستطيع أن يحيى وحده في الدنيا، بل جُبل الإنسان على الحاجة والعوز؛ فهو في حاجة أخيه، وأخوه في حاجته، وإلا لما كان من أهمية لأصحاب الأنبياء والرسل.

قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا] {الفتح:٢٩}.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٣).

في المثل العربي: المرء بخليله، ومن أمثالهم أيضًا: المرء بإخوانه.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).
(٢) انظر: الصداقة والصديق ص/ ١١٢.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

وقال فولتير: أيتها الصداقة: لولاك لكان المرء وحيدًا، وبفضلك يستطيع المرء أن يضاعف نفسه وأن يحيا فِي نفوس الآخرين.
وقيل: الصديق إما أن ينفع وإما أن يشفع.

ثانيًا: في معنى الصداقة.

* الصداقة: مظهرٌ من علاقة اجتماعية بين شخصين الصداقة هي علاقة اجتماعية بين شخصين أو أكثر، تقوم على المشاركة الوجدانية، وتتميز عن غيرها من العلاقات الاجتماعية بالاستمرارية، والتجرد من المنفعة المادية المباشرة، وتوافر قدر من الاشتراك في نمط الشخصية والتفكير والسلوك والميول.
وشاهده قول النبي ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». (١)

وقوله ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**». (٢)

وهي في لغة العرب: مأخوذةٌ من الفعل (صَدَقَ)، وهي عكس الكذب، فهي قائمةً أصالةً على الصدق.
-وقال حكيمٌ: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن اضطررت إليها فلا تصدقه، ولا تعلمه أنك تكذبه فينتقل عن ودك ولا ينتقل عن طبعه. (٣)

* وأصول الصداقة التي تقوم عليها: أوكدها الدين، ثم الجوار، ثم الصناعة، ثم المنشأ، ثم التجربة، ثم الإلف، ثم الميلاد. (٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).
(٣) الصداقة والصديق ص ١٨٣.
(٤) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٨٤.

ثالثًا: صديق الحق وصديق السوء:

-صديق الحق هو من يبذل نفسه لصديقه؛ ظاهرًا وباطنًا، حضرًا وسفرًا، في الغيب وفي الشهادة، وسيأتي جملٌ من الحديث عنه.

- أما صديق السوء فهو العكس من ذلك.

-وقال لقمان: مَنْ يَصْحب صاحب الصَّلاح يَسْلَم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم.

- قال بزرجمهر: إياك وقرناء السوء، فإنك إن عملت قالوا: رائيت، وإن قصرت قالوا: أثمت، وإن بكيت قالوا: شهرت، وإن ضحكت قالوا: جهلت، وإن نطقت قالوا: تكلفت، وإن سكت قالوا: عييت، وإن تواضعت قالوا افتقرت، وإن أنفقت قالوا: أسرفت، وإن اقتصدت قالوا: بخلت.

-وقال حكيمٌ: إخوان السوء يتفرقون عند النكبة، ويقبلون مع النعمة، ومن شأنهم التوصل بالإخلاص والمحبة إلى أن يظفروا بالأنس والثقة، ثم يوكلون الأعين بالأفعال، والأسماع بالأقوال، فإن رأوا خيرًا ستروه، وإن رأوا شرًا وظنوه أذاعوه ونشروه.

-وقد ضرب لهما النبي ﷺ أروع المثل بقوله ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**». [1]

-وبالجملة؛ فإن إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضًا، والاستئناس بالوحدة أفضل من الاستئناس بجليس وقرين السوء.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى.

رابعًا: في الحذر من عداوة الصديق.

-قال بعض السلف: إياك وكره الإخوان، فإنه لا يؤذيك إلا من تعرف.

-قال شبيب بن شيبة: إخوان الصديق خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء.

-وقال الشاعر:

احْـــذَرْ عَـــدُوَّك مـــرةً، واحـــذر صـــديقك ألـــف مـــــــــــــــــــــــــــــرةً

فلربمـــا انقلـــب الصـــديقُ فكـــان أَعْلَـــمَ بالمَضَـــرَّة

-فالعاقل يحذر من عداوة الصديق القديم، والألف السابق؛ فإن عداوته أضر من غيره، لذلك كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم احفظني من أصدقائي، فسئل عن ذلك فقال: إني أحفظ نفسي من أعدائي.

-وقيل لبزرجمهر: ما بال معاداة الصديق أقرب مأخذًا من مصادقة العدو؟ قال: لأن إنفاق المال أهون مِن كسبه، وهدم البناء أسهل من رفعه، وكسر الإناء أيسر من إصلاحه.

- قال الشاعر:

بلـــوت النـــاس قرنًـــا بعـــد قـــرن
فلـــم أر غيـــر خـــلان المقـــال
ولـــم أر فـــي الخطـــوب أشـــد هـــولًا
وأصـــعب مـــن معـــاداة الرجـــال
وذقـــت مـــرارة الأشـــياء طـــرًا
فمـــا طعـــم أمـــر مـــن الســـؤال

* والعاقل مَنْ مَيَّز عدوه من صديقه:

كما قال القائل: أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة: فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك.

خامسًا: في كثرة الأصدقاء وقلتهم.

* **والضابط في ذلك واضحٌ، وهو**: كثرة أصدقاء الحق، وقلة أصدقاء السوء.

-قال بزرجمهر: الإخوان كالسلاح، فمنهم من يجب ان يكون كالرمح يطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك.

وقيل: الأصدقاء بعضهم كالوُرود اليانعة فيهم نضارةٌ وشباب، وبعضهم كالبنفسج فيهم رِقَّةٌ إذا ما قُطعوا ذبلوا، والبعض الثالث كالزُّهور البرية ليس لهم رائحةٌ أو طعمٌ.

ولطه حسين سياقةٌ أخرى قال: **الأصدقاء ثلاث طبقات**: طبقةٌ كالغِذاء لا نستغني عنه، وطبقةٌ كالدواء لا نحتاج إليه إلا أحيانًا، وطبقة كالداء لا نحتاج إليه أبدًا.

وقال بلوطس: أنت تملك أصدقاء؛ إذن أَنْتَ غني.

* **عِزَّةُ الصداقة، وقِلَّة الصديق، إذا وجدت صديقًا وفيًّا فعض عليه بالنواجذ:**

- قال جعفر بن يحيى لبعض ندمائه: كم لك من صديق؟ قال: صديقان قال: إنك لمثر من الأصدقاء.

- قال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخًا في الله قال: فقلت له: لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل الفتوة. (١)

- وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده. (٢)

- قيل لأعرابي: كيف أنسك بالصديق؟ قال: وأين الصديق، بل أين الشبيه به، بل أين الشبيه بالشبيه به؟ والله ما يوقد نار الضغائن والذحول

---

(١) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٦٧.
(٢) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٤٧.

في الحي إلا الذين يدعون الصداقة، وينتحلون النصيحة، وهم أعداء في مسوك الأصدقاء. (١)

- قال الشاعر:

وَمَـــــا بَقِيَـــــتْ مِـــــنَ اللّـــــذّاتِ إلا
مُحادثـــــــة الرجـــــال ذوي العُقـــــول
وقـــــد كـــــانوا إذا عُـــــدُّوا قلـــــيلًا
فقـــــد صـــــاروا أقَـــــلَّ مـــــن القليـــــل

*** في الاستكثار من الأصدقاء:**

- قال الشاعر:

تَكَثّـــر مِـــن الإخـــوان مـــا اســـتطعت إنهـــم
كُنُـــوزٌ إذا مـــا اســـتنجدوا وظُهُـــور
ومـــا بكثيـــرٍ أَلْـــفُ خِـــلٍّ وصـــاحبٍ
وإنْ عُـــدَّ مـــنهم واحـــدٌ لكثيـــر

قال الحسن بن وهب: طرف الصداقة أملح من طرف العلاقة، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق.

وفي أمثال العرب: **رَبِّ فِي كل بلدٍ صاحبًا.**

*** في الإقلال من الأصدقاء:**

- قديمًا حدثني أحد أصحابي بقولٍ لا أنساه ما حييت؛ وهو قوله: لا تستكثرن من الإخوان فينوء ظهرك بحملهم.

-قال عمر بن الخطاب: الإخوان بمنزلة النار، قليلها متاع وكثيرها بوار.

- وقال المتنبي:

وَمِـــن نَكَـــدِ الـــدُنيا عَلـــى الحُـــرِّ أَن يَـــرى
عَـــدُوّاً لَـــهُ مـــا مِـــن صَـــداقَتِهِ بُـــدُّ

(١) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٩١.

قواعد في الصداقة

القاعدة الأولى:
الاعتدال العاطفي في الصداقة.

فإن التطرف في كل شيءٍ مذمومٌ، والوسط هو العدل والخيار.

ومن مشهور حكم العرب: «**خُيْرُ الأمور أوسطها**».

وكذا الأمر في الصداقة، ومع الصديق؛ لا إفراط ولا تفريط، بل يحافظ الإنسان على مشاعره وعواطفه، فإن الأيام دول، ولربما حصل التباغض بعد الافتراق.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا**»[1].

وفي ذلك يقول الشاعر:

احْذَرْ عَدُوَّك مرةً، واحذر صديقك ألف مرةً
فلربما انقلب الصديقُ فكان أَعْلَمَ بالمَضَرَّة

ولا يؤمن على الشخص إذا أفرط في حب صديقه أن يتحول حبه هذا إلى حبٍّ أعمى؛ يعميه عن الحق أن يقوله، ويمنعه من المنكر أن يزيله، ويتحرج أن يبذل النصح لصديقه.

---

(١) أخرجه الترمذي: (١٩٩٧) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٨).

القاعدة الثانية:
اغتنام فرصة إقبال الناس.

مما هو معروف من طبائع الناس أن للنفوس أقبالًا وإدبارًا.

ومن كلام العرب في ذلك: «**إذا أتت رياحك فاغتنمها**».

وفي حكمة آل داود ﷺ: **حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ، سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يُفْضِي فِيهَا إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ، وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ عَلَى هَذِهِ السَّاعَاتِ، وَإِجْمَامٌ لِلْقُلُوبِ.** (١)

فعلى العاقل أن يغتنم فرصة إقبال الناس عليه، والاستكثار من الإخوان والأصدقاء؛ فإنك لا تدري متى تحتاج إليهم، فلا تزهدن في من يرغب فيك، ويقبل عليك، واغتنم فرصة رغبته فيك، وإقباله عليك.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٠٥) برقم: (٣١٣) عن وهب بن منبه.

القاعدة الثالثة:

بذل النفس للصديق.

*** الصديقُ الحَقُّ هو أول رأس مالٍ يربحه الإنسان، وأول تجربة يخوضها الرجل في حياته.**

*** والأصل في البذل ألا يدخر وسعًا في نفع أخيه إلا فعله:**

عن جرير بن عبد الله البجلي ڤ قال: بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ على إِقَامِ الصَّلَاة وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ(١).

وجعل النبي ﷺ الدين هو النصيحة فقال، «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لِمَن؟ قال: قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

وقال بعض السلف: ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، ولعدوك عدلك وإنصافك.

قال الحسن: لأن اقضي لأخ من إخواني حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة.

*** وبذل النفس للصديق يكون بأمورٍ، منها:**

(بذل المال، وتقديم الوفاء، وحفظ الذمام، وإخلاص المودة، ورعاية الغيب، وتوقر الشهادة، ورفض الموجدة، وكظم الغيظ، واستعمال الحلم، ومجانبة الخلاف، واحتمال الكل، وبذل المعونة، وحمل المؤونة، وطلاقة الوجه، ولطف اللسان، وحسن الاستنابة والثبات على الثقة، والصبر على الضراء، والمشاركة في البأساء)(٣).

*** ومقتضى الحق والعدل وحكمة الله في الناس أن من بذل نفسه لأصدقائه؛ لم يخذله الله فيهم ونفعوه وقت حاجته:**

فعن أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري.
(٣) انظر: الصداقة والصديق ص/ ١١١.

كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١].

وقال أبو جعفر المنصور: من أعطى إخوانه النصفة، وعاشرهم بجميل العشرة قوي بهم عضده، وزاد بهم جلده، وبذلوا دونه المهج، وخاضوا في رضاه اللجج. [٢]

وإلا فكما قال معاذ بن جبل ﷺ: إياك وكل جليسٍ لا يفيدك علمًا.

*** ومن أبغض الأخلاق أن تقابل بذل إخوانك بجفائك:**

وقال عمرو بن العاص ﷺ: من أفحش الظلم أن تلزم حقك في مال أخيك، فيبذله لك، ويلزمك حقه في تعظيمك إياه فتمنعه، فإذا أنت جشمته إفضال المنعمين، وابتذلته ابتذال الأكفاء.

* قال الشاعر:

مـــا وَدَّنِـــي أحـــدٌ إلا بَـــذَلْتُ لـــه
صـــفو المـــودة منـــي آخـــر الأبـــد
ولا قَلَانـــي، وإن كُنْـــتُ المحـــب لـــه
إلا دَعَـــوْتُ لـــه الـــرحمن بالرشـــد
ولا ائتمنـــت علـــى سِـــرٍّ فبُحـــت بـــه،
ولا مَـــدَدْتُ إلـــى غيـــر الجميـــل يـــدي
ولا أقـــول (نعـــم) يومًـــا فأَتْبِعُهـــا
مَنعًـــا، ولـــو ذهبـــت بالمـــال والولـــد
ولا أخـــون خليلـــي فـــي حليلتـــه
حتـــى أُغَيَّـــبَ فـــي الأكفـــان واللحـــد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٥١.

القاعدة الرابعة:
استبقاء الصداقة، والاحتفاظ بالأصدقاء.

*** الأصل أن الإنسان يستبقى أصدقائه، ويُبقي خلانه:**

ومن حكم العرب في ذلك: إذا منحتك المصائب صديقًا فعض عليه.

وما أصدق ما قال القائل: أصدقاء المحنة عمرهم طويل، أما أصدقاء المواكب فعمرهم كأعمار الزهور، ينتهي بنهاية الموكب.

وقال الإسكندر لديوجانس: بم يعرف الرجل أصدقاءه، قال: بالشدائد، لأن كل أحد في الرخاء صديق.

وفي المثل الأجنبي:

- A friend indeed is a friend in need.

ومعناه الصديق وقت الحاجة هو الصديق الحق.

فالأصدقاء القدامى كالتحف النادرة القديمة التي كلما تعاقبت عليها الليالي والأيام، ازداد الإنسان حبًا فيها ومحافظة عليها.

*** لاستبقاء الأصدقاء أصول، منها:**

وقال أبو إسحاق السبيعي: ثلاث يصفين لك ود أخيك: السلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه، وأن لا تماريه. (١)

-قال حاتم الأصم: أربعة تذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللطف باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب. (٢)

احرص على قلة مخالفة الصديق في غير معصية الله؛ فإن النفوس تختلف، والطباع متنوعة.

وتذكر دائمًا: أن الخلاف كله شرٌّ.

كتب الأحنف بن قيس إلى صديقٍ له: أما بعد، فإذا قدم أخٌ لك مُوافق، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر ؛ فإن الأخ الموافق أفضل من

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٥٨.
(٢) الصداقة والصديق ص ٢٨٥.

الولد المخالف. ألم تسمع قول الله عز وجل لنوح ﷺ في ابنه: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا] {هود:٤٦}. (١)

عن عائشة ڤ قالت: **مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ.** (٢)

ومن أعظم أمثال العرب في ذلك: إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ(٣).

وقال علي بن أبي طالب ڤ: لا تكن لينًا فُتعصر، ولا تكن قاسيًا فتُكسر.

قال أعرابي: البشر سحر، والهدية سحر، والمساعدة سحر. (٤)

وقال عمر بن الخطاب: مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الكنى إليه.

* وهذا مقتضى الصداقة الحقيقية؛ فإنها ليست أيام وتمضي، وساعات وتذهب، ولكن ألفة الدهر، وخلة الزمن:

ففي المثل الألماني: الصداقة الحقيقية لا تتجمد في الشتاء.

وقال هنري دافيد ثورو: الصداقة الحقيقية تتحمل المعرفة الحقيقية؛ فهي لا تعتمد على الظلام والجهل.

وقال كولتون: الصداقة الحقيقة كالصحة الجيدة: قلما تعرف قيمتها إلا بعد فقدها.

---

(١) آداب العشرة ص/ ٢١.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة.
(٣) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٦٤.
(٤) الصداقة والصديق ص ١٨١.

القاعدة الخامسة:
مراعاة حقوق الصداقة.

* مراعاة حقوق الصداقة هي الأصل الأصيل في بقاء الود والألفة، والسبيل إلى إذهاب كل خاطرة سوء، أو شبهة فراق.

* وقد أعظم النبي ﷺ صداقته بالصديق أبي بكر ﷺ في مواضع كثيرة، يلوم فيها أصحابه إذا تعرضوا للصديق بشيءٍ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا. (١)

وكذا كان الصديق ﷺ للنبي ﷺ، بذلًا وعطاءًا وصدقًا ويقينًا، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تذكر، منها: ما أخرجه البخاري في قصة الهجرة؛ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَمَّاهُ، فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، **فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ**. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١)، من حديث أبي الدرداء.
(٢) أخرجه البخاري: (٢٤٣٩)، ومسلم (٢٠٠٩) من حديث البراء عن أبي بكر.

*** وهذه جملٌ من حقوق الصداقة:**

أولًا: أن يعلمه أنه يحبه في الله:

فعن المِقْدامِ بن مَعْدِ يكرِب ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّه يُحِبُّه**». (١)

- قال عمر بن شبة: التقى أخوان في الله، فقال أحدهما لصاحبه: والله يا أخي إني لأحبك في الله، فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله. فقال: والله يا أخي لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لمنعني من بغضك ما أعلمه من نفسي.

ثانيًا: أن يدفع عنه ما استطاع:

-قال ابن عباس: إن الذباب ليقع على صديقي فيشق علي. (٢)

ثالثًا: البشاشة في وجهه:

-وقال ابن سيرين: لا تلق أخاك بما يكره. (٣)

رابعًا: لا يتناجي دونه:

-وقال حبيب بن أبي ثابت: ليس من الأخوة أن يسر الرجل عن أخيه الحديث. (٤)

خامسًا: لا يتكلف له:

-وقال بعض السلف: شر الإخوان من تتكلف له. (٥)

سادسًا: أن يحتمل أذاه:

- قال الأحنف: من حق الصديق أن يحتمل له ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.

سابعًا: أن يكتم سره:

- قال أبو العتاهية: قلت لعلي بن الهيثم: ما يجب للصديق؟ قال: ثلاث خلال: كتمان حديث الخلوة، والمواساة عند الشدة، وإقالة العثرة.

ثامنًا: أن يسعى في خدمته:

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٩).
(٢) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٣٥٢.
(٣) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٣٥٢.
(٤) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٣٥٢.
(٥) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٣٥٢.

- كان عامر بن قيس إذا توجه للغزو توسم الرفاق، فإذا رأى قومًا لهم هدى قال: يا قوم إني أريد أن أصحبكم على ثلاث خلال فيقال له: ما هن؟ قال: أكون خادمًا لكم، ومؤذنًا بينكم، وأنفق عليكم. فإذا قالوا: نعم صحبهم وإلا تركهم.

مواصفات الصديق

الصفة الأولى:
الصلاح والتقوى.

* فالأصل في اختيار الصديق أن يختار الصالح التقي الذي يُرتضى دينه وخلقه وأمانته في الظاهر والباطن:

قال تعالى: [أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ] {الزخرف:٦٧}.

عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُصاحِبْ إلّا مؤمنًا ولا يأكل طعامَك إلّا تقيٌّ**». (١)

وقال لقمان: مَنْ يَصْحب صاحب الصَّلاح يَسْلَم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم.

وقال لقمان: جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

*** وصحبة الأتقياء نافعة غاية النفع:**

فقد رفع الله ذكر كلبٍ أن صحب جماعةً من الأخيار فقال تعالى:

[طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا] {الكهف:١٨}،

وقال تعالى: [تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢] {الكهف:٢٢}.

وأعظم من ذلك: ما ذكره النبي ﷺ «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». (١)

*** وصلاح الصديق يقود إلى الصلاح والتقوى، فإن الصديق تابعٌ لصديقه:**

وشاهد ذلك قول النبي ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**». (٢)

ومن مشهور كلام العرب في ذلك: **الصاحب ساحبٌ**، ومن كلامهم: **الطِّبَاع غَلَّابَةٌ**. وفي أمثالهم: **جليس المرء مثله**.

وفي المثل الإنجليزي: **صَاحِب الأخيار تَكُن واحدًا منهم**.

وقال ابن المقفع: صُحبة الأخيار تُورث الخير، وصُحبة الأشرار تُورث الندامة.

وفي كتاب «كليلة ودمنة»: صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت تننًا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبًا.

قال عدي بن زيد الشاعر:

عَــنِ الْمَــرْءِ لَا تَسْــأَلْ وَأَبْصِــرْ قَرِينَــهُ
فَــإِنَّ الْقَــرِينَ بِالْمُقَــارِن مُقْتَدَشــي

* والصديق الصالح على الحقيقة هو الذي يدل صاحبه على كل خيرٍ وينهاه عن كل شرٍّ، ويبذل غاية البذل في نصحه.

وكان يقال: لا تصحب إلا من إن صحبته زانك، وإن حملت مؤونة أعانك، وإن رأى منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن تعففت عنه ابتداك، وإن عاتبك لم يحرمك، وإن تباعدت عنه لم يرفضك. (٣)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٧)، من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).
(٣) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (٦٨/ ٢٣٦).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: (الصحبة مع الإخوان بدوام البشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكثار قليل برهم، واستصغار ما منك إليهم، وتعهدهم بالنفس والمال، ومجانبة الحقد والحسد والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه). [١]

وبهذا يكون الإنسان صديقًا حقًّا؛ كما قيل: الأصدقاء الحقيقيون يصعب إيجادهم، يصعب تركهم، ويستحيل نسيانهم.

(١) انظر: آداب الصحبة، أبو عبد الرحمن السلمي، ص/ ١٢٠.

الصفة الثانية:

سلامة الصدر من أمراض النفس، من (الحسد، والحقد، والغل، والضغينة، وحظوظ النفس):

-كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»[1]. وهي الحقد والضغينة.

-قال حاتم الأصم: أربعة تذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللطف باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب.[2]

-وقال الإمام الشافعي:

لَمَّا عَفَوتُ ولم أَحْقِد على أحدٍ
أرحتُ نفسيَ من غمّ العداواتِ
إني أُحَيِّي عدُوِّي عند رؤيته
لأدفعَ الشرَّ عني بالتحيّاتِ
وأحسن البِشْرَ للإنسانِ أبغضُه
كأنه قد حشا قلبي محبّاتِ
ولست أسلم من خلٍّ يخالطني
فكيف أسلم من أهل العداواتِ؟

* وبالجملة؛ فإذا خلا الصديق من التنافس، والتحاسد، والتماري، والتماحك صَحَّت صداقته.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٢) الصداقة والصديق ص ٢٨٥.

الصفة الثالثة:

حسن العشرة:

والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». (١)

وبشر النبي ﷺ من كانت هذه طباعه و خصاله بتحريمه على النار، فقال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ سَهْلٍ، قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**». (٢)

قيل لابن المقفع: بأي شيء يعرف الأخ؟ قال: أن ترى وجهه منبسطًا، ولسانه بمودته ناطقًا، وقلبه ببشره ضاحكًا، ولقربه في المجلس معجبًا، وعلى مجاورته في الدار حريصًا، وله فيما بين ذلك مكرمًا. (٣)

وقال سهل بن هارون: الصديق لا يحاسب، والعدو لا يحتسب له.

قال يحيى بن معاذ: بئس الصديق صديق تحتاج معه إلى المداراة، وبئس الصديق صديق تحتاج أن تقول له: أذكرني في دعائك، وبئس الصديق صديق يلجئك إلى الاعتذار. (٤)

قال الأعمش: أدركت أقوامًا كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهرًا وشهرين فإذا لقيه لم يزده على كيف أنت، وكيف الحال، ولو سأله شطر ماله لأعطاه، ثم أدركت أقوامًا لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يومًا سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمنعه. (٥)

-قيل لأعرابي: كيف ينبغي أن يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة ويريه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها. (٦)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٨)، وأحمد (٣٩٣٨) من حديث ابن مسعود.
(٣) الصداقة والصديق ص ١٧٨.
(٤) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٩٨.
(٥) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٩٨.
(٦) الصداقة والصديق ص ٢٤٤.

الصفة الرابعة:

دائم التذكير بالله:

فعن عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟**» ، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا، ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**». (١)

قال بلال بن سعد: أخ لك كلما لقيك ذكرك برؤيته ربك، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا.

قال عبد الله بن جعفر لصديق له: إن لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من إذا صحبته زانك، وإن خففت له صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن رأى منك خلة سدها، أو حسنة عدها، وإن وعدك لم يخرصك، وإن كبرت عليه لم يرفضك، وإن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك. (٢)

-وقال حكيمٌ: خير الأصحاب من ستر ذنبك فلم يقرعك ومعروفه عندك فلم يمنن عليك. (٣)

أدبيات التعامل مع الأصدقاء

الأدب الأول:

الصدق.

سميُّت الصداقة بهذا الاسم اشتقاقًا من الصِّدْقِ، والمقصود بالصدق في آداب الصداقة هو المعنى الواسع، أي الصدق بالأقوال والأفعال والمشاعر، والصدق بالالتزام بالعلاقة والقيام بمتطلباتها.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٩) من حديث أسماء بنت يزيد.
(٢) الصداقة والصديق ص ١٩١.
(٣) الصداقة والصديق ص ١٨٣.

والصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقًا إذا عمل، قال: وصدقة المرأة وصداقها وصدقتها كله منتزع من الصدق والصدق، وكذلك الصادق، والصديق، والصدوق والصدقة، والمتصدق والمصدق، كل هذا متواخ. (١)

فمن أعظم آداب الأصدقاء الصدق؛ والصدق يكون في الغيب والشهادة، في أي زمان ومكان وحال، وإلا انقلب إلى زيفٍ وخداع.

قيل لعبد الله بن المبارك: إن قوما يلتقون بالبشر والسلام فإذا تفرقوا طعن بعضهم على بعض. فقال: أعداء غيب، إخوة تلاق، تبًا لهذه الأخلاق، كأنما شقت من النفاق. (٢)

وقيل: الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك، ويصدقك أيضًا عنك لتكون على مثله، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فليس لكما فرحة، ولا ترحة، إلا وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش. (٣)

- وقيل لأحدهم: من تحب أن يكون صديقك؟ قال: من يطعني إذا جعت، ويكسوني إذا عرين، ويحملني إذا كللت، ويغفر لي إذا زللت، فقال له علي بن الحسين العلوي: أنت إنما تريد إنسانًا يكفيك مؤونتك، ويكفلك في حالك، كأنما تمنيت وكيلًا فسميته صديقًا، فما أحار جوابًا. (٤)

-وقال حكيم: صديقي من يقيلني إذا عثرت، ويقومني إذا ازوررت ويهديني إذا ضللت، ويصبر علي إذا مللت، ويكفيني ما لا أعلم وما علمت. (٥)

---

(١) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٨٨.
(٢) الصداقة والصديق ص ١٣٤.
(٣) الصداقة والصديق ص ١٣٦.
(٤) الصداقة والصديق ص ١٣٦.
(٥) الصداقة والصديق ص ١٣٦.

الأدب الثاني:

البشاشة والبشر واللين والملاطفة والتودد للأصدقاء.

عن أبي ذر ﷺ قال: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**». (١)

وعن أبي ذر ﷺ أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**». (٢)

وعن عائشة ﷺ قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُ

مَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. (٣)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**». (٤)

وقال عمرو بن العاص: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف.

ومن أعظم أمثال العرب في ذلك: **إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ** (٥).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: لا تكن ليِّنًا فُتعصر، ولا تكن قاسيًا فتُكسر.

وقال الشاعر:

عَامِـــــل النـــــاسَ بخُلُـــــقٍ رفيـــــقِ
والْـــــقَ مَـــــنْ تَلْقَـــــى بوجـــــهٍ طليـــــقِ
فـــــإذا أنـــــت قليـــــل الأعـــــادي
وإذا أنـــــت كثيـــــر الصـــــديق

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر.
(٢) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) من حديث أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة.
(٤) أخرجه البزار (١٩٧٧) من حديث أبي هريرة.
(٥) انظر: الصداقة والصديق ص/ ٦٤.

الأدب الثالث:
التسامح والتغافل وإقالة العثرة:

فكل بني آدم خطاء، وذلك أن النفوس مجبولة على الخطأ، وقد مضت العصمة مع وفاة النبي ﷺ، فكلنا ذو خطأ.

وفي الحديث: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**». (١)

وفي أشعار العرب:

مَـــنْ ذَا الّـــذي مَـــا سَـــاءَ قَـــطّ
وَمَـــنْ لَـــهُ الحُســـنى فقـــط
مُحَمَّـــدُ الهَـــادي الّـــذي
عليـــــه جِبريـــــلُ هَـــــبَط

وفي أقوال العرب: **كَفَى بالمرء نبلًا أن تُعَدَّ معايبه**.

وقيل: **لكل جوادٍ كبوةٌ، ولكل حُسامٍ نَبْوَةٌ، ولكل حليمٍ هفوةٌ، ولكل كريمٍ صبوةٌ**.

قال الفضيل بن عياض: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان. (٢)

- وقال آخر:

إذا مـــا أتـــت مِـــن صـــاحب لـــك زلـــةٌ
فكـــن أنـــت محتـــالًا لزلتـــه عـــذرًا

وقال حكيمٌ: مَن عَاشَرَ الناسَ بالمسامحة دام استمتاعه بهم.

وقال بلزاك: ازدهار الصداقة لَا يكون إلا إذا كانت الذاكرة ضعيفة بحيث تنسى الأخطاء.

وقال بوبليليوس سيروس: سَامِحْ عدوًا واحدًا تكسب أصدقاء كثيرين.

وشاهده قول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ**». (٣)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس.
(٢) آداب العشرة ص/ ٣.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٩) من حديث جماعةٍ من الصحابة، وصححه الألباني في

- وقال آخر:

فــلا تقطــع أخــاك مــن أجــل ذنــب
فـــــإن الـــــذنب يغفـــــره الكـــــريم

- وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب:

لا يزهـــــدنك فـــــي أخ لـــــك أن تـــــراه زل زلـــــه
مـــا مـــن أخ لـــك لا يعيـــب ولـــو حرصـــت الحـــرص كلـــه

- وقال أعربي: الودود من عذر أخاه، وآثره على هواه. (١)

وقال أعرابي: إذا جاد لك أخوك بأكثره، فتجاف له عن أيسره. (٢)

* والنفوس تجمع بين طياتها الخير والشر، والصواب والخطأ:

ومن ذلك ما ذكره ابن إياس (ت: ٩٣٠) في «تاريخه» في وصف الحاكم العبيدي، قال: فكان كما قال القائل في المعنى:

أَرَى فِيـــكَ أَخْلَاقًـــا حِسَـــانًا قَبِيحَـــةَ
وَأَنْـــتَ لَعَمْـــرِي كَالَّـــذِي أَنَـــا وَاصِـــفُ
قَرِيـــبٌ بِعِيـــدٌ، بَـــاذِلٌ مُتَمَنِّـــعُ
كَـــرِيمٌ بِخَيْـــلٌ، مُسْـــتَقِيمٌ مُخَـــالِفُ
كَـــذُوبٌ صَـــدُوقٌ، لَـــيْسَ يَـــدْرِي صَـــدِيقَهُ
أَيَجْفُـــوهُ مِـــنْ تَخْلِيطِـــهِ أَمْ يُلَاطِـــفُ
تَلَوَّنَـــتْ حَتَّـــى لَسْـــتَ أَدْرِي مِـــنَ الْعَمَـــى
أَرِيـــحَ جَنُـــوبُ أَنْـــتَ أَمْ أَنْـــتَ عَاصِـــفٌ
فَـــلَا أَنْـــتَ ذُو غِـــشٍّ، وَلَا أَنْـــتَ نَاصِـــحُ
وَإِنِّـــي لَفِـــي شَـــكٍّ لِأَمْـــرِكَ وَاقِـــفُ
كَـــذَاكَ لِسَـــانِيّ هَـــاجِ لَـــكَ مَـــادِحُ
كَمَـــا أَنَّ قَلْبَـــي جَاهِـــلٌ بِـــكَ عَـــارِفُ(٣)

«صحيح الجامع» (١٥٨٥).
(١) الصداقة والصديق ص/ ١٤٧.
(٢) الصداقة والصديق ص/ ١٤٧.
(٣) مختصر التاريخ (١/ ٤٢)، وذكره أبو حيان التوحيدي في «الصداقة والصديق»

والتسامح في الصداقة قائمٌ على احترام الاختلافات الثقافية والاجتماعية والتربوية بأنواعها، وعلى تقبل الأفكار المختلفة والآراء التي لا تتوافق مع آرائنا؛ مما يكون فيه لسعة الصدر مجال.

لأبي السؤال مولى بني كهلان ص/ ١٨٢.

الأدب الرابع:
إظهار الاهتمام الصديق:

وهذه من أعظم الآداب التي تدل على صلة الصديق، وقرب روحه، فإن الاهتمام يُديم العلاقة، ويقوي الأواصر.

قال ابن عباس ﷺ: أربعةٌ لا أقدر على مكافأتهم: رجلٌ بدأني بالسلام، ورجلٌ وَسَّع لي في المجلس، ورجلٌ اغبرت قدماه في المشي في حاجتي، فأما الرابع فما يُكافئه عني إلا الله ﷻ. قيل: ومن هو؟ قال: رجلٌ نزل به أَمْرٌ فبات ليلته يُفكر فيمن يقصده، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: (الصحبة مع الإخوان بدوام البشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكثار قليل برهم، واستصغار ما منك إليهم، وتعهدهم بالنفس والمال، ومجانبة الحقد والحسد والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه). [١]

قال ديل كارينجي صاحب كتاب «كيف تكسب الأصدقاء»: تستطيع أن تكسب من الأصدقاء فِي شهرين أكثر مما تكسبه فِي عامين إذا ركزت على أن تهتم بالآخرين بدلًا من أن تركز على أن يهتم الآخرون بك.

---

(١) انظر: آداب الصحبة، أبو عبد الرحمن السلمي، ص/ ١٢٠.

الأدب الخامس:

حفظ السر.

*** حفظ السر هو دأب الأخيار، وخُلق الأوفياء الأبرار؛ فإن النفس مولعةٌ بإفشاء الأسرار، والعاقل من أمسك لسانه؛ حتى لا يورده المهالك.**

في حديث وفاة النبي ﷺ أَسَرَّ لابنته فاطمة سرًّا، فكتمته حتى وفاته ﷺ، فعن عائشة ڤ قالت: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي**». فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ**» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ. (١)

عن أنس بن مالك ڤ قال: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ. (٢)ـ

*** وعقوبة إفشاء السر الندم.**

قال معاوية بن أبي سفيان ڤ: ما أفشيت سرّي إلى أحد إلا أعقبني طول الندم، وشدة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري فحكمته بين أضلاعي، إلا أكسبني مجدًا، وذكرًا، وسناء، ورفعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢) واللفظ له، ولفظ البخاري: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ.

وقال عمرو بن العاص ق: ما استودعت رجلًا سرًّا فأفشاه فلُمته؛ لأني كُنْتُ أضيق صدرًا منه حيث استودعته إيَّاه.

*** وإفشاء سر الصديق خيانة:**

قال الحسن البصري $: إنَّ مِن الخيانة أن تحدِّث بسرِّ أخيك.

وقال بعض السلف: إذا حدثك صاحبك بحديثٍ ثم التفت فهو أمانةٌ.

وقال الراغب الأصفهاني: إذاعة السرِّ من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال، والصبيان، والنساء.

وبينه الماوردي بعبارة رائقة فقال: وكم مِن إظهار سرٍّ أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنًا، وفي عواقبه سالمًا، ولنجاح حوائجه راجيًا.

الأدب السادس:

التواضع، والحذر من الكبر والتعالي والغرور والاستهزاء.

كن متواضعًا؛ من أعظم النصائح التي يجود بها المجربون من أهل الخبرة والحنكة في الحياة.

وفي الحديث، قال ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**». (١)

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**». (٢)

والتواضع بين الأصدقاء من أعظم الآداب، وألطف الأساليب؛ فإنه من المستحيل الوقوف في هذا العالم على الدوام دون انحناءٍ ولو يسيرٍ؛ فإن الإنسان قد يصل إلى القمة؛ لكن البقاء عليها أشد وأصعب.

وقال حكيم: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء.

ورأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الله حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل.

الأدب السابع:

مراعاة ضوابط العتاب:

* العتاب بين الأصدقاء هو الملح الذي يُصلح ما يرد على روابط الصداقة من عوارض وقواطع.

فهو كما قال أحد الحكماء: العتاب حدائق المتحابين، وثمار الأوداء، ودليل على الضن بالصفا، وحركات الشوق، ومستراح الواجد، ولسان الإشفاق.

وفي ذلك شهر بيت النابغة الذبياني، حتى قيل إنه أشعر بيت قالته العرب:

ولَسْـــــتَ بمُسْـــــتَبقٍ أَخًـــــا لا تَلُمْـــــهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٦) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

علـــــى شـــــعثٍ، أيُّ الرجـــــالِ المهـــــذبُ

وقالت العرب قديمًا: **يَبْقَى الوُدُّ ما بقي العتاب**.

وقال أبو الدرداء: معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله، أطع أخاك، ولن له، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح، غدًا يأتيك أجله فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله؟

إذا كُنـــــتَ فِـــــي كـــــل الأمـــــور مُعاتبًـــــا
صـــــديقَك لـــــم تَلـــــقْ الـــــذي لَا تعاتبـــــهُ
فعـــــش واحـــــدًا أو صِـــــلْ أخـــــاك فإنـــــه
مقـــــارفُ ذنـــــبٍ مـــــرةً ومُجَانِبُـــــهُ

وقال الشاعر:

مـــــا عَاتَـــــبَ المـــــرءُ الكـــــريمُ كنفسِـــــه
والمـــــرء يُصـــــلحه الجلـــــيس فيَصْـــــلُحُ

وقيل:

أَعَاتِـــــبُ إخـــــواني وأَبْقِـــــي علـــــيهم
ولســـــت بمُسْـــــتَبْقٍ أخًـــــا لا أعاتبـــــه

الأدب الثامن:
فهم أدبيات وحقوق الخلاف:

معرفة أدب الخلاف مما يضمن بقاء الود والألفة بين الأصدقاء؛ فإن كثيرًا من الناس لا يحسن هذه المعاني.

*** وهاك جملة هذه الضوابط والأصول التي ينبغي مراعاتها في الخلاف:**

١. إخلاص القصد في الخلاف لله وحده دون غيره من أي حظ من حظوظ النفس.
٢. التجرد من الهوى، والحذر من نزغات الشيطان.

قال ثابت البناني: جالست الناس خمسين سنةً؛ فما جالست أحدًا إلا وهو يحب أن تنقاد الناس لهواه، وإن الرجل ليخطئ فيحب أن تخطئ الناس كلهم. (١)

٣. الانقياد للنصوص الشرعية، والتسليم لها.
٤. الحذر من تقديم العقل على النقل.
٥. قبول الحق أيًّا كان قائله؛ قريبًا أو غريبًا.
٦. الحذر من حب الظهور، وشهوات النفس.
٧. تقديم إحسان الظن بالمخالف، وعدم اتهام نيته، أو التسلط عليه بالتجريح مِن غير مُوجبٍ شرعيٍّ.

كما قيل: من لم يرض من أخيه بحسن النية لم يرض منه بحسن العطية(٢).

٨. الحذر من التحاسد والتشاحن والتباغض والتفرق؛ فإن جل الخلافات بين الأصدقاء مما يصدق عليه قول القائل: «الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية».
٩. طول النفس والأناة في سماع حجة المخالف، وفهمها، وإمعان النظر في معرفة وجهة نظره.

---

(١) الصداقة والصديق ص ٢٠٢.
(٢) الصداقة والصديق ص ١٩٧.

١٠. تحري النزاهة في نقل الكلام، وضبطه، والتوثق منه.

مفسدات الصداقة

المفسد الأول:
الاستخفاف والسخرية بالأصدقاء والتنابز بالألقاب:

قال تعالى: [إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ] {الحجرات:١١}

وقال ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

المفسد الثاني:

التعيير والشماتة:

وفي الحديث: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ**»(١).

وكان النبي ﷺ يستعيذ من الشماتة، فعن أبي هريرة ڤ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ. (٢)

ونظر بعض العباد شخصًا مستحسنًا فقال له شيخه: ستجد غَبَّه؛ فنسي القرآن بعد أربعين سنة.

وقال آخر: عبت شخصًا قد ذهب بعض أسنانه فذهبت أسناني، ونظرت إلى امرأة لا تحل لي فنظر زوجتي من لا أريد.

وقال ابن سيرين: عَيَّرْتُ رجلًا بالإفلاس، قلت له: يا فقير! فأفلست. (٣)

فالإنسان المُعَيِّر لأخيه، واقفٌ على خطرٍ عظيمٍ، فإن الله يبتلي الناس بما يشاء، والأيام دول:

قال ابن عطاء الله السكندري: **رب معصية أورثت ذُلاً وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا.**

قال ابن القيم $: (إن تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا وأشد ذنبًا من المعصية ذاتها، وذلك لأنه يحمل في طياته معاني التكبر والغرور بالطاعة لدى صاحبه، ويعبر عن تزكية النفس وشكرها، ووصفها –

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٦) من حديث واثلة بن الأسقع.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

(٣) انظر: الآداب الشرعية (١/ ٣١٩). **وقيل**: كان لابن سيرين ثروة عظيمة من العسل! وكان له منها ما يقارب الستمائة برميل من العسل، وفي يوم من الأيام وجدوا فأرة في أحد البراميل، والحكم الشرعي أنه إذا وقعت الفأرة في الشيء المائع أي: السائل، كالزيت والعسل واللبن، تطرح الفأرة ويرمى هذا السائل، وإذا وقعت الفأرة في الشيء الجامد الصلب، كالسمن، مثلا، فترمى الفأرة، وما حولها، ثم ينتفع بالباقي، فلما وقعت الفأرة في برميل من براميل عسل محمد بن سيرين استخرجوا الفأرة من البرميل وطرحوها، ثم إنهم نسوا في أي البراميل كانت هذه الفأرة، فكان من ورع محمد بن سيرين أن رمى ببراميل العسل كلها!!. وكانت مصيبة عظيمة، أفلس بسببها بعدما كان من أغنياء الدنيا، إلا أن ورعه يمنعه أن يلق الله بشبهة فقيل له في ذلك: إنها لخسارة عظيمة. فقال: هذا ذنب أنتظر عقوبته منذ أربعين سنة، فقالوا له وما هذا الذنب؟ فقال: عيرت رجلاً، وقلت له: يا فقير.! قَلَّتْ ذُنوب القوم ؛ فعرفوا من أين أتوا.

ضمنيًّا- بالبراءة من الذنب، والتنزه عن المعصية، ولعل كسر نفس أخيك بسبب ما وقع فيه من ذنب، وما حدث له من الذلة والخضوع، بسبب ما اقترف من معصية، وتخلصه من مرض الكِبر والعُجب، ووقوفه بين يدي الله منكس الرأس، خاشع الطَّرْف، منكسر القلب، لعل هذا أنفع له وخير من صولة طاعتك وزهوك بها، والمن بها على الله وعلى خَلقه). (١)

المفسد الثالث:
المن على الصديق.

قال تعالى: [۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾] {البقرة:٢٦٣}.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**» (٢) .

فمن مفسدات العشرة والأخوة، المن على الصديق بالعطية، وقد جاءت النصوص بالنهي عن ذلك.

وحرص السلف على إخفاء هذه العطايا عن أصحابها:

قال عروة: كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعةً، وجعلها، في ثني وسادته التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فبصر بالرقعة، فقرأها وردها إلى موضعها، وجعل مكانها كيساً، فيه خمسمائة دينار، فجاء الرجل، فدخل عليه، فقال له: قلبت النمرقة؟ فخذ ما تحتها، فأخذ الرجل الكيس وخرج وهو ينشد:

زادَ مَعروفُـــــكَ عِنـــــدي عِظَمـــــاً

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٩٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٦).

أَنَـــــهُ عِنـــــدَكَ مَيســـــورٌ حَقيـــــر
تَتَنَاســـــاهُ كَـــــأَن لَـــــم تَأتِـــــهِ
وَهُـــوَ عِنـــدَ النـــاسِ مَشـــهورٌ كَبيـــر[1]

(١) انظر: آداب العشرة، ص/ ٥١.

المفسد الرابع:
التسلط في الصداقة:

من الأخطاء التي يرتكبها الأصدقاء أيضًا محاولة فرض السيطرة والهيمنة، فعلاقة الصداقة الصحيّة لا يمكن أن تقوم بوجود طرف متسلط، وهذا التسلط في الصداقة قد يكون في أمور بسيطة مثل تحديد مكان اللقاء أو التعامل مع خطة النزهة وكأنها أوامر يجب أن يلتزم بها الأصدقاء، وقد يصل التسلط إلى محاولة فرض السيطرة على حياة الصديق الشخصية والتحكم بخياراته بل واتخاذ قرارات عنه دون علمه!

المفسد الخامس:
التنمر والإساءة:

حتى وإن كان بصيغة المزاح؛ السخرية والكلمات الجارحة قد تكون السبب الرئيسي لانهيار الصداقة، فالصديق ينتظر من صديقه الدعم والمساندة والمساعدة في تصحيح بعض الأخطاء أو العيوب، ولن يكون ممتنًا عندما يجد صديقه يشارك في حفلة التنمر أو ينظمها.

المفسد السادس:

إفشاء الأسرار:

الخطأ الأكبر الذي قد يرتكبه الصديق بحق صديقه هو إفشاء الأسرار أو الحديث أمام الآخرين عن خصوصيات الصديق، ومن الجدير بالذكر هنا أن الصديق غير ملزم بتحديد هذه الأسرار كل مرة "ما سأقوله سرّ**!**" وإنما علينا نحن كأصدقاء أن نفهم ونعرف حدود الخصوصية والأمور التي لا يجب الحديث عنها أمام الآخرين.

أدبيات إنهاء الصداقة

الأدب الأول:

إحكام سبب إنهاء الصداقة:

فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة: هل حقًا يجب أن تنهي العلاقة أم أن هناك عوامل خارجية تؤثر في القرار؟

هل السبب الذي يدفعك للتفكير بإنهاء الصداقة جديد أم تطوّر عبر الوقت؟ هل هناك أمل لإصلاح العلاقة؟

ومقتضى العقل والعشرة يقول أنك ينبغي أن تأخذ وقتك للتفكير في أجوبه هذه الأسئلة؛ ثم اتخاذ القرار الصائب الهادئ بعيدًا عن التوتر أو الانفعال؛ فإن أسوأ القرارات هو ما يتخذه الفرد أثناء غضبه.

الأدب الثاني:

التلاشي الطبيعي:

إذا كان لا بد من إنهاء الصداقة؛ فليكن ذلك منك على نحوٍ تدريجيٍّ؛ فإن التسرع في القرارات يُورث الندم، وليكن ذلك بطريقةٍ غير تصادميةٍ؛ فتبدأ أولًا بتقليل التواصل، ثم التهرب بشيءٍ من اللطف ولَيّن القول، حتى تتلاشى علاقة الصداقة مِن تلقاء نفسها، ولا يتطلب ذلك مواجهة مع الصديق أو إنهاءً عنيفاً للصداقة .

الأدب الثالث:

ماذا بعد إنهاء الصداقة:

بعد إنهاء علاقة الصداقة عليك أن تكون أمينًا في حِفْظ العشرة، وطول الصحبة التي كانت بين الخلان؛ ويكون ذلك مِن خلال الكتمان، وتجنُّب الطعن والتجريح، وطَوْي الصفحة دون العودة لها مجددًا؛ فإن الماضي يُطوى ولا يُروى.

والضابط في ذلك كما قيل: إذا كان من المستحيل أن نحتفظ بالصداقة التي كانت بيننا، فلا أقل من أن يجمع بيننا الاحترام.

ولا بأس من ذكر بعض الوصايا التي تساعدك في تلك المرحلة:

أولًا: حافظ على أسرار الصداقة: فانتهاء الصداقة لا يعطيك الحق بالحديث عن أسرار صديقك القديم أو مشاركتها مع الآخرين.

ثانيًا: لا تحاول تحريض الأصدقاء المشتركين: لا تضع نفسك في عقد المقارنات، وبيان المفاضلات، وذكر السيئات والسوءات.

ثالثًا: تحدث عن صديقك القديم بطريقةٍ جيدةٍ: فليس بالضرورة أن تمدحه أو تثني عليه، لكن تجنب التجريح به، ولا بأس بشيءٍ من المجاملات الرقيقة البعيدة عن الكذب أو النفاق.

رابعًا: رُدّ على المجاملات بشكلٍ رسميّ: إنهاء الصداقة لا يعني القطيعة الأبدية، فإن المناسبات الاجتماعية لا تنتهي، فربما تعرض التهنئة أو التعزية، مما لابد منه من المجاملات الاجتماعية.

أهم المراجع

١. الإخوان، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.
٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، نشر: عالم الكتب.
٣. آداب الصحبة، محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث - طنطا – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ – ١٩٩٠.
٤. آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات ابن رضي الدين (ت: ٩٨٤هـ)، تحقيق: عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
٥. ثواب قضاء حوائج الأخوان وما جاء في إغاثة اللهفان، محمد بن علي بن ميمون، أبو الغنائم النَّرْسِي الكوفي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٦. الصداقة والصديق، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: د/ إبراهيم الكيلاني، نشر: دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق – سورية، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
٧. في أدب الصداقة، عبد الرحمن منيف، ومروان قصاب باشي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار التنوير، بيروت، ٢٠١٢.
٨. المتحابين في الله، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الطباع – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.
٩. منتقى الآداب الشرعية، ماجد بن سعود آل عوشن، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٤.

فهرس الموضوعات

المُقَدِّمَةُ..... ١
بين يدي الأدبيات..... ٣
أولًا: معنى الأدب: ٣
ثانيًا: منزلة الأدب: ٤
ثالثًا: اعتناء السلف بتعلم الأدب. ٦
رابعًا: صورٌ مِن أدب العلماء. ٨
بين يدي الصداقة..... ٩
أولًا: في أهمية الصديق. ٩
ثانيًا: في معنى الصداقة. ١٣
ثالثًا: صديق الحق وصديق السوء..... ١٤
رابعًا: في الحذر من عداوة الصديق. ١٥
خامسًا: في كثرة الأصدقاء وقلتهم. ١٦
قواعد في الصداقة..... ١٨
القاعدة الأولى: الاعتدال العاطفي في الصداقة. ١٨
القاعدة الثانية: اغتنام فرصة إقبال الناس..... ١٩
القاعدة الثالثة: بذل النفس للصديق. ٢٠
القاعدة الرابعة: استبقاء الصداقة، والاحتفاظ بالأصدقاء. ٢٢
القاعدة الخامسة: مراعاة حقوق الصداقة. ٢٤
مواصفات الصديق..... ٢٧
الصفة الأولى: الصلاح والتقوى..... ٢٧
الصفة الثانية: سلامة الصدر من أمراض النفس، من (الحسد، والحقد،
والغل، والضغينة، وحظوظ النفس):..... ٣٠

الصفة الثالثة: حسن العشرة: ٣١
الصفة الرابعة: دائم التذكير باللّه: ٣٢
أدبيات التعامل مع الأصدقاء..... ٣٢
الأدب الأول: الصدق. ٣٢
الأدب الثاني: البشاشة والبشر واللين والملاطفة والتودد ٣٥
الأدب الثالث: التسامح والتغافل وإقالة العثرة ٣٦
الأدب الرابع: إظهار الاهتمام الصديق: ٣٩
الأدب الخامس: حفظ السر. ٤٠
الأدب السادس: التواضع، والحذر من الكبر والغرور والاستهزاء. ٤٢
الأدب السابع: مراعاة ضوابط العتاب ٤٢
الأدب الثامن: فهم أدبيات وحقوق الخلاف ٤٤
مفسدات الصداقة..... ٤٦
المفسد الأول: الاستخفاف والسخرية بالأصدقاء والتنابز بالألقاب ٤٦
المفسد الثاني: التعيير والشماتة ٤٧
المفسد الثالث: المن على الصديق. ٤٨
المفسد الرابع: التسلط في الصداقة ٥٠
المفسد الخامس: التنمر والإساءة..... ٥١
المفسد السادس: إفشاء الأسرار ٥٢
أدبيات إنهاء الصداقة..... ٥٣
الأدب الأول: إحكام سبب إنهاء الصداقة ٥٣
الأدب الثاني: التلاشي الطبيعي ٥٤
الأدب الثالث: ماذا بعد إنهاء الصداقة؟..... ٥٥
أهم المراجع..... ٥٦
فهرس الموضوعات..... ٥٧